2006 جريدة الوقت السبت 15 يونيو

أمسية محرقية في وادي الشعر

علي خليفة والجميري يشعلان المكان بالرؤى والموسيقى والصور

لا تأمن الوقت يا صويحب إليمن زماتك زان
وتبدل الحال من بعد الشقا وأمرار وأحزان
ما يستوي لعبنا بالسيف مع حرينا بالزان
الله يلعن بشر قاصد يوتض نايمه الفتنة
ويدري بنا أخوان ما يقدر أحد يكسرنا ويفتنا
حنا رفاقة درب يا ما على الجمر الغضى فتنا
القلب ما ينقسم نصين والعدل بالميزان

بهذه الكلمات لإحدى المواويل يحاور الشاعر علي عبد الله خليفة الطائفية وبذور الفتنة التي أفرزها الوضع الحالي السياسي والاجتماعي في البحرين، من خلال ديوانه الجديد (على قلب واحد)، وهي مجموعة شعرية شعبية صدرت عن مؤسسة الأيام للنشر وقام بتصميم غلافها المعبر والهادئ في الوقت نفسه جمال هاشم أما الخطوط الداخلية فهي لعلي احمدي وعبد الرحيم عبد الله.

وقد دخل علي عبد الله خليفة بهذا الديوان للمرة الثانية كما -فعل سابقاً في ديوان (لا يتشابه الشجر)- في مشروع نشر الشعر للجمهور المتلقي عن طريق الإخراج المسرحي الغني على يد عبد الله يوسف وبمصاحبة صوت البحرين المميز أحمد الجميري، ومن هنا جاءت أمسية مركز المحرق الشعبي ليلة الخميس الماضي مميزة بحضور وجهاء جزيرة ومحافظة المحرق وكبار المدعوين من محافظات البحرين الأخرى وجمهور الشاعر الذي يلاحقه أينما حل. ورغم صغر مساحة قاعة المركز الشعبي وعدم جاهزية المكان لاستقبال عدد كبير من الجمهور العاشق للشعر وللشاعر ولكاميرات التصوير التلفزيوني كذلك؛ إلا أن الأمسية بصوت الشاعر المرهف وأداء المطرب المتمكن مرت بسلام وتقبل من الجميع.

ويعتبر ديوان (على قلب واحد) هو الإصدار التاسع للشاعر علي عبد الله خليفة منذ عام 1969م حين اصدر عن دار العلم للملايين بلبنان ديوانه الأول (أنين الصواري)، أي بعد 37 عاما. وكانت أطول فترة توقف فيها الشاعر هي بين مطلع السبعينات حتى مطلع الثمانينيات بين عامي 1973 و1983 حيث لم يصدر الشاعر خلال هذا العقد سوى ديوانين هما (إضاءة لذاكرة الوطن) و (عصافير المسا). أما منذ عام 2000 وحتى الآن فكما أثمرت غصون الحركة السياسية في البلاد الميثاق والدستور والبرلمان وحرية التعبير؛ فإصدار الشاعر لأربعة دواوين يعتبر إبداعاً متميزاً في فترة قياسية، وهي (حورية العاشق)، (يعشب الورق)، (لا يتشابه الشجر)، (على قلب واحد).

ويسبب هذا الإنتاج المتنوع بين الفصحى والعامية فقد قالت المستشرقة البولندية بربارا ديكو ليسكي إن الشاعر البحريني علي عبد الله خليفة يعتبر واحداً من ابرز الشعراء المعاصرين الذين رسموا أفق الحركة الشعرية الحديثة في مملكة البحرين. بينما عبرت وجدان عبد الإله الصائغ عن وجهة نظرها في هذا الانجاز الثقافي الشعري بقولها: إن الرصيد الإبداعي للشاعر علي خليفة والممتد لأكثر من 30 عاماً منح لقصائده تنوعاً في المحاور التي اشتغل عليها وفي التقنيات الشعرية التي اعتمدها. أما الباحث كمال الذيب فيقول إن تجربة الشاعر علي خليفة بما فيها من ثراء وغنى في المضمون والصورة والموسيقى والمشاعر والرؤى، تصدر عن شاعر يمتلك قدرة كبيرة على التجديد والاستمرار في إطار رؤية شعرية مازالت تمنحنا قدراً من الأمل في الشعر وقدراً من لذة الارتباط به.

عودة:

يحوي ديوان (على قلب واحد) 65 قصيدة وموال انتشرت على 202 صفحة من الحجم الصغير وقد عنونها الشاعر علي خليفة هذه المرة بعناوين أشبه بالفصول في دراسة أكاديمية وهي: (مكابدات) وضمت 9 قصائد، (أبعاد) وضمت 8 قصائد، (خيبات) وضمت 6 قصائد، (وجد) وضمت 9 قصائد، (موال) وضمت 11 موالاً، (حوارية) وضمت 4 قصائد، (رسائل) وضمت 18 قصيدة. وقد ختم علي خليفة الديوان بقصيدة (لولو):

أنتا يا وردة الدانات
ريت روحك على الذوق
واعرف كيف قلبك لي بقى يختار في الزين
والقدر أميز ريحتك
واعرف حنينك من الشوق
مثل ما يفرز الطواش دانات العمر من لولو البحرين.

تعقيبات:

- لست أدري لماذا يتم التركيز في الآونة الخيرة من حالات مخاض الديمقراطية -إن صح التعبير هنا- على ثقافة المناطقية الضيقة في بلد مثل البحرين حتى من قبل من يدعو بحسن نية للوحدة واللحمة الوطنية. فذاك يتغنى ويمجد البديع فقط وأنها أهم منطقة في تاريخ وحاضر البحرين، واخر يتغني بالمحرق وأنها أصل البحرين كلها، وثالث يتغنى بالمنامة ولا شيء غيرها في البحرين ورابع بالحورة وخامس بالدير وسادس بالبسيتين، وهكذا بدأت تنتشر ثقافة بغيضة غير عملية وليست ذات مستوى حضاري وبها حس عشائري غير مستساغ هنا في البحرين بين الناس ولا تؤدي في الوقت نفسه للحمة الوطنية التي يدعو لها الجميع كما يبدو، بل أظنها ستعود بنا إلى أيام الفرجان والصراع بين سمادوه والعافورية!!

- بالرغم من غلاف الديوان الجميل وهو غلاف الـ" نفسه الذي وزع مع الديوان في أمسية المحرق بموسيقى محمد حداد وصوت وأداء الشاعر نفسه؛ إلا أن الطباعة وبالذات ألوان الخطوط الداخلية لم تنفذ باحتراف وتقنية فنية بالرغم من خبرة المطابع البحرينية في هذا المجال وتفوقها أحياناً على المطابع العربية الأخرى.

كادت: أن يحدث ما لا يحمد عقباه قبل بدء الأمسية حين أصر احد الكائنات الصغيرة ويطلق عليه (فأر) أن يدخل المركز الشعبي ويعكر صفو الأمسية وخصوصا انه بدأ تحركاته تلك بشكل مبكر قبل البدء وفي الجهة الخاصة بالنساء اللواتي حضرن الأمسية، وهذه ملحوظة توجه للقائمين والمشرفين على هذا المركز وغيره بضرورة توفير ما يساعد ويدعم الفعاليات الثقافية وينقيها من كل الشوائب والكائنات غير المرغوب فيها ضمن الإعداد الحريص على إنجاحها.